

الحيرة النبوية

في كتابات المستشرق الهولندي أرنست فان فسنك

«١٨٨٢-١٩٣٩م»

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

اعتنى المستشرقون الهولنديون باللغة العربية ومعاجمها، كما اعتنوا بتحقيق النصوص العربية، ومما يميز الاستشراق الهولندي وجود مؤسسة برل، التي تولت طباعة الموسوعة الإسلامية ونشرها في طبعتيها الأولى والثانية، كما تقوم هذه المؤسسة بطباعة كثير من الكتب حول الإسلام والمسلمين.

وكان الهولنديون في مقدمة باحثيه تعمقاً واتقاناً، حتى إن كثيراً من المستشرقين استعانوا بمؤلفات الهولنديين وترجماتهم، وأصبحت مطبعة (ليدن) الهولندية التي أنشأها (توماس اربانيوس ١٥٨٤ - ١٦٢٤) بماله الخاص تؤدي دورها المتميز في الطباعة والنشر، ولا تزال موئل العربية ومرجع المستشرقين قاطبة، يؤثرون مطبوعاتها على منشورات مطابعهم، ومن أشهر ما ظهر فيها الموسوعة الإسلامية

واتصل الهولنديون بالشرق واهتموا بترائيه، فقد عرفوا العربية قبل معرفة الألمان لها، أما أسباب ذلك فعديدة، منها الخلاف الديني الذي وقع بخروج لوثر عن الكاثوليكية، ومنها تأسيس جمهورية الولايات الهولندية المتحدة، ومنها اتصال الهولنديين بعرب مراكش والجزائر وطرابلس الغرب ومسلمي الهند الشرقية اتصالاً سياسياً وتجارياً، ومنها إقبال العالم الغربي على العلوم الشرقية.

طردته السلطات من هناك، فرحل إلى إندونيسيا ليعمل مع السلطات الهولندية المحتلة لتدعيم الاحتلال في ذلك البلد الإسلامي، ومن أعلام الاستشراق الهولندي أيضاً دي خويه (ت ١٩٠٩م) وفنسك صاحب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، وله كتاب في العقيدة الإسلامية، وكذلك المستشرق منسك والمستشرق دوزي.

وذكر الدكتور السامرائي أن الاستشراق الهولندي، شهد في السنوات الماضية ظهور تيار من المستشرقين الشباب الذين يميلون إلى النظرة الموضوعية إلى الإسلام وقضاياها، وهذا مما أثار حنق وغضب المستشرقين الأكبر سناً، ولهولندا مركز للبحوث والدراسات العربية والإسلامية في مصر. وقد تولت جامعة ليدن تنظيم مؤتمر عالمي حول الإسلام في القرن الواحد والعشرين في الفترة من ٢-٧ يونيو ١٩٩٦ بالتعاون مع وزارة الشؤون الدينية الإندونيسية، وحضر المؤتمر مئة وعشرون باحثاً من أنحاء العالم. والاستشراق الهولندي لا يختلف عن الاستشراق

باللغات الثلاث: الفرنسية والإنجليزية والألمانية، كما ظهرت في هولندا كتب كثيرة للقواعد العربية والمعاجم العربية.

كما حقق فيها الكثير من المخطوطات، وتضم مكتبة (جامعة ليدن) مخطوطات نفيسة كثيرة قضى العلماء الهولنديون قروناً متواصلة في جمعها وتحقيقتها. أما وضع الاستشراق الهولندي قبيل وبعد الحرب العالمية الثانية فقد تغير إلى حد ما بفعل الظروف الدولية حيث انحسر دور هولندا السياسي قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، فأنثر ذلك الانحسار على الوضع الاستشراقي فيها، فلم يعد هناك ما ينشر عن المنطقة العربية أو التراث العربي إلا قليلاً، ولكن بعض البحوث التي تختص بمناطق النفوذ الهولندي في جنوب آسيا لا زالت تظهر إلى الآن، وتتعلق بمناطق جاوة وسومطرة وأقطار جنوب شرق آسيا.^(١)

ومن أبرز المستشرقين الهولنديين سنوك هورخرونيه الذي ادعى الإسلام وتسمى باسم الحاج عبد الغفار، وذهب إلى مكة المكرمة ومكث ستة أشهر حتى

مشوِّهاً في حقيقته، مزيّناً بأثواب التحديث وبريق التقدم الزائف، حتى أصبحت كتبهم ومؤلفاتهم عن الشرق الإسلامي هي المصادر الأساسية ومراجع التعريف والدراسة الوحيدة تقريباً للشرق الإسلامي في جميع معاهد وجامعات الغرب، بل وأغلب الجامعات التي أنشئت على المنهج الغربي في أنحاء العالم.

إنّ انتقاءنا لنماذج من كبار رجال الاستشراق الهولندي سيكون منسجماً مع هدفنا في تشخيص وتقويم منهج دراسة الغربيين للشرق الإسلامي وتعريفه، كما أنّ الأساس الذي اعتمدناه في هذا الانتقاء هو الدور الخطير فكرياً وميدانياً لهؤلاء الرجال، والذي سيكشف لنا عن الأثر السلبي الكبير الذي تركوه على الذهنيّة الغربية في فهم الإسلام ومجتمعاته من جهة، وعن التخريب الفكري والاجتماعي الذي أحدثوه في المجتمعات الإسلامية عن طريق صياغة ايدولوجيات وبرامج تغيير لحرف توجهات هذه المجتمعات عن مسارها الإسلامي ومحق هويتها الدينيّة من جهة أخرى.

الأوروبي في أنه انطلق مدفوعاً بالروح التنصيرية، وأن هولندا كانت تدور في الفلك البابوي الكاثوليكي.^(٢)

❖ نماذج من رجال الغرب ومنهج تناولهم للشرق الإسلامي:

طيلة قرون وحتى فترة متأخرة من القرن العشرين لم تتعرف الشعوب الغربية على الشرق الإسلامي من خلال مصادره الخاصة وتراثه المباشر، إنّما عرفوه من خلال رجال متخصصين، وعلى رأسهم المستشرقون الذين جالوا بلدان الشرق الإسلامي، وسجلوا مشاهداتهم الحسيّة من الواقع، ونقلوا إلى جامعاتهم ومعاهدهم الآلاف من الكتب والمصادر والوثائق وأخضعوها للدرس والتحليل.

وعلى أساس من خلفياتهم الغربية ومنطقهم العلماني وشعورهم الاستعماري لكل ما ينتمي للإسلام فكراً ومجتمعاً، واستهدافهم المتناغم مع التطلعات الاستعمارية لدول الغرب، صوّروا الإسلام ومجتمعه للغربيين، بل وطرحوه لأُمم العالم وشعوبه بثوب جديد نسجته عقولهم على ضوء نظريتهم وخلفياتهم تلك، فخرج

ولد في ٩ أغسطس ١٨٣٦م، تخصص في جامعة ليدن بالدراسات الشرقية ومن أساتذته المستشرق دوزي وكانت رسالته للدكتوراه بعنوان (نموذج من الكتابات الشرقية في وصف المغرب مأخوذ من كتاب البلدان لليعقوبي، عمل في التدريس بجامعة ليدن، وكان أبرز اهتماماته الجغرافيا وكذلك التاريخ الإسلامي، ومن نتاجه تحقيق كتاب فتوح البلدان للبلاذري، كما شارك وأشرف على تحقيق تاريخ الطبري، وهو غزير الإنتاج.

٢- سنوك هورخرونيه (١٨٥٧م-١٩٣٦م):

ولد في ٨ فبراير ١٨٥٧م، درس اللاهوت ثم بدأ دراسة العربية والإسلام على يد المستشرق دي خويه، ودرس كذلك على يد مستشرقين آخرين منهم المستشرق الألماني نولدكه، كانت رسالته للدكتوراه حول الحج إلى مكة المكرمة عام ١٨٨٠م. عمل مدرساً في معهد تكوين الموظفين في الهند الشرقية (إندونيسيا)، أعلن إسلامه وتسمى باسم عبد الغفار وسافر إلى مكة المكرمة وأمضى فيها ستة أشهر ونصف، تعرف خلال هذه الفترة على عدد من

وبذلك استغنى الاستعمار الغربي عن الأسلوب العسكري المباشر في السيطرة على الشرق الإسلامي، واكتفى بالاستعمار الفكري والمنهجي المتمثل بجملة من المبادئ والاطروحات الحديثة التي ألبست ثوب القومية أو الوطنية تارة، وثوب التمدن والتحديث تارة أخرى، وثوب الدفاع عن حق الشعوب وحريتها الفكرية تارة ثالثة.

♦ أبرز أعلام مدرسة هولندا الاستشرافية:

١- رينهارت دوزي (١٨٢٠-١٨٨٣):

ولد في ٢١ فبراير ١٨٢٠م في مدينة ليدن، بدأ دراسة العربية في المرحلة الثانوية وواصل هذه الدراسة في الجامعة، حصل على الدكتوراة عن بحثه (أخبار بني عياد عند الكتاب العرب) اهتم بالمخطوطات العربية وبخاصة كتاب الذخيرة لابن بسام وغيره من الكتب، اهتم بتاريخ المسلمين في الأندلس وأبرز كتبه تاريخ المسلمين في اسبانيا المكون من عدة مجلدات.

٢- مايكال ده خويه (١٨٣٦-١٩٠٩م):

٥- جاك واردنبر:

ولد في ١٥ مارس ١٩٣٠م، درس القانون بجامعة أمستردام ودرس أيضاً علم اللاهوت بالجامعة نفسها. درس العربية في الفترة من ١٩٥٣م إلى ١٩٥٦م بجامعة أمستردام وفي ليدن وفي مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس، حصل على منحة من اليونسكو لزيارة بعض الدول العربية والإسلامية فزار إيران ولبنان ومصر والأردن كانت رسالته للدكتوراة بعنوان (الإسلام في مرآة الغرب) من جامعة أمستردام، عمل في معهد الدراسات الإسلامية بجامعة كندا في الفترة من ١٩٦٢م - ١٩٦٣م، قام بزيارات علمية لإجراء بحوث حول الجامعات في العالم العربي في كل من تونس ولبنان وسوريا والعراق والأردن، عمل باحثاً زائراً في جامعة كاليفورنيا - لوس أنجلوس وعمل في مجال التدريس في جامعة أوترخت بهولندا (١٩٦٨م - ١٩٨٧م) ثم انتقل إلى جامعة لوزان بسويسرا وبقي فيها حتى تقاعد عام ١٩٩٥م.

له إنتاج غزير في مجال الدراسات

الشخصيات في مكة وبخاصة الذين تمود أصولهم إلى الجزر الإندونيسية، جمع مادة كتابه عن مكة المكرمة. انتقل إلى العمل في إندونيسيا لخدمة الاستعمار الهولندي حيث عمل مستشاراً لإدارة المستعمرات في عام ١٨٩١م، يعد سنوك نموذجاً للمستشرق الذي خدم الاستعمار خدمات كبيرة وسخر علمه لهذا الغرض.^(٢)

٤- أرند فتنسك (١٨٨٢م - ١٩٣٩م):

تلمذ على يد المستشرق هوتسمان ودي خويه وسنوك هورخرونيه وسخاو، حصل على الدكتوراة في بحثه (محمد واليهود في المدينة) عام ١٩٠٨م. بدأ في عمل معجم مفهرس لألفاظ الحديث الشريف مستعيناً بعدد كبير من الباحثين وتمويل من أكاديمية العلوم في أمستردام ومؤسسات هولندية وأوروبية أخرى، وأصدر كتاباً في فهرسة الحديث ترجمه فؤاد عبد الباقي بعنوان (مفتاح كنوز السنة) أشرف على طباعة كتابات سنوك هورخرونيه في ستة مجلدات، له مؤلفات عديدة منها كتاب في العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها التاريخي.

بلغاتها الثلاث، فأنتم منها أربعة مجلدات وخمس ملازم، وكتب مقالات كثيرة في مجالات مختلفة، وله كتب بالإنجليزية والفرنسية عن الإسلام والمسلمين، رُشِّع فنسك لعضوية مجمع اللغة العربية في مصر، ولشدة تعصبه ضد الإسلام تعرض لهجوم من قبل الدكتور حسين الهواري مؤلف كتاب "المستشرقون والإسلام" الذي صدر سنة ١٩٣٦م مما أحدث أزمة معه كانت نتيجتها أن رفضت عضوية فنسك في المجمع، وكان السبب في هذا الهجوم قيامه بنشر آرائه في القرآن والرسول ﷺ، مدَّعياً أن الرسول ألف القرآن تلخيصاً للكتب الدينية والفلسفية التي سبقته.

ولهذا عُرف بأنه عدو لدود للإسلام والرسول الكريم ﷺ، ومتعصب بكتاباته كما في كتابه "عقيدة الإسلام" الذي صدر سنة ١٩٣٢م.^(٦)

عرف فنسك بنشاطه الجَم في مجال التأليف الذي يخدم المآرب الاستشراقية، وله كتب وبحوث كلها تصب في هذا المجال، نذكر منها:

١- محمد واليهود (١٩١١م).

الإسلامية منها (الإسلام في مرآة الغرب) و (واقع الجامعات العربية - مجلدان) والطرق الكلاسيكية لدراسة الدين، شارك في الكتابة في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية) وقد كتب مادة (مستشرقون).^(٤)

♦ لمحة موجزة عن المستشرق الهولندي
أرنديجان فنسك (١٨٨٢م-١٩٢٩م):

هو مستشرق هولندي، من أسرة يهودية، أتقن اللغات السامية، وتخصص في أديان الشرق فذاع صيته فيها، وانتدب أستاذا للعربية في جامعة ليدن من سنة ١٩٢٧م إلى مماته.^(٥)

قام برحلات إلى مصر وسوريا وغيرها من بلاد العرب واعتنى بالحديث والسنة وسمى إلى وضع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف من الكتب التسعة، وانضم إليه لفيف من المستشرقين العالميين، كما أعانتة أكاديمية العلوم في أمستردام، ومؤسسات هولندية أخرى وعدد من أكاديميات دول أوروبية، وتولى الإشراف على تحرير معظم موضوعات "دائرة المعارف الإسلامية" سنة ١٩٢٥م

وهي أوسع نتاج موسوعي استشراقي - من قبل مجموعة كبيرة من المستشرقين من جنسيات أوروبية مختلفة. وكان المشرف على معظم موادها هو المستشرق «فنسك» أو «ونسنك»^(٨) المعروف بأنه من أكبر المتعصبين ضد الاسلام، والذي يدعي أن الرسول ﷺ آلف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التي سبقته^(٩)، وقد نشرت هذه الدائرة باللغة العربية مرتين، الاولى عام ١٩٣٢م الى حد الحرف (ع) والمرة الثانية في السبعينات دون أي تغيير في موادها.

وهنا أشير إلى أن الكثير من الباحثين المنصفين والمحققين المتخصصين قد تصدّى لدراسة دائرة المعارف الاسلامية، وأشاروا الى أنها تحوي مجموعة من الاخطاء والدسائس الناشئة عن التعصب الأوربي، وأن أغلب كتابها قساوسة مبشرون لا يهمهم سوى الافتراء على الاسلام وتشويه حقيقته.

وقد اجمعت آراؤهم على أن دائرة المعارف الاسلامية تضم مجموعة من المحاذير التي يجب التنبه لها والتصدي

- ٢- الإسرائيليات في الإسلام (١٩١٣م).
- ٣- قيمة الحديث في الدراسات الإسلامية (١٩٢١م).
- ٤- مفتاح كنوز السنة مرتبا على الحروف الأبجدية (لیدن ١٩٢٧م).
- ٥- العقيدة الإسلامية: نشأتها وتطورها التاريخي-بالإنجليزية (كمبريدج ١٩٣٢م).
- ٦- الأثر اليهودي في أصل الشعائر الإسلامية (١٩٥٤م).
- ٧- فكر الفزالي-بالفرنسية- (باريس ١٩٤٠م).

- ٨- دراسات سامية - (لیدن ١٩٣٨م) .
 - ٩- موقف الرسول من يهود المدينة - باللغة الهولندية، وهو عنوان اطروحته للدكتوراة^(٧).
- وقد قام بعض زملائه بجمع دراساته ونشرها تحت عنوان: دراسات سامية في مخلفات الأستاذ فنسك.

❖ فنسك المشرف على موسوعة دائرة المعارف الاسلامية:

لقد كتبت دائرة المعارف الإسلامية -

للرد عليها وكشف اهدافها وهي:

١ . سيطرة البدع الدخيلة في الدين الاسلامي على مواد الموسوعة باستفاضة مثيرة، وباستخدام اساليب الكذب المتقنة، حتى ليظن الباحث انها من اصول الاسلام، وقد امعن مؤلفو الدائرة في تسجيلها وشرحها وكأنها حقائق ثابتة ومن الاصول المقررة والمسلم بها وليس من الدخائل.

٢ . القصد المتعمد في الجمع بين اساطير البدع التي ما انزل الله بها من سلطان وحقائق الشريعة.

٣ . جمعت دائرة المعارف هذه خلاصة ما كُتِبَ عن الاسلام في الكتب التي ألفها المستشرقون، والتي كانت السمة الغالبة عليها الهجوم بشراسة على الاسلام خلال السنوات الطويلة، وكانت متفرقة في هذه المؤلفات التي لم يكن يقرأها إلا بعض الغربيين الذين يُختارون للعمل في البلاد الاسلامية، ثم جاءت الدائرة لتضم هذا كله وتجعل منه مصدراً اسلامياً يرجع اليه بسهولة ويُسر بعد ان تُرجم أغلبها الى العربية.

٤ . إصرار القائمين على هذه الدائرة على عدم التصحيح . ولو بالتعليق الهامشي . للأخطاء والمطاعن التي انكشف أمرها جلياً، وهذا اكثر ضرراً من أشرّ كتب المبشرين والمستشرقين وصحفهم، لأنّ هذه كلّها لا تخدع أحداً من أهل الحقيقة والمعرفة، إنّما خطرهما يكمن في نشوء جيل من المتعلمين يعتبرها مراجع موسوعية أساسية تضافرت عليها جهود عشرات العلماء والمفكرين، فيستقي منها ويعتمد عليها دون أن يفرق بين الحق والباطل فيها، أو يعلم أن مؤلفي هذه الدائرة من الدّ خصوم الإسلام والمسلمين.

♦ فنسنتك أهدافه ومآربه:

لما كانت مدينة "لیدن" وجامعتها في هولندا قد اشتهرت بفزارة إنتاجها الاستشراقي، فقد ترأس فنسنتك الذي كان يدرّس فيها مجموعة من زملائه للقيام بعملين كبيرين:

أولهما: دائرة المعارف الإسلامية، وصدر الجزء الأوّل منها عام ١٩١٣م، التي ضمّنها أخطر آرائه، منها ما ورد في كلمة

"إبراهيم" وفي كلمة "كعبة".

فقد أشار تحت لفظ "إبراهيم" إلى أن الآيات المكيّة ليس فيها ذكر لنسب اسماعيل لإبراهيم، ويقول: إنه لا يعرف شيئاً عن شعور محمد نحو الكعبة في شبابه، وإن ما لديه من تاريخ حياته لا يصح أن يؤخذ أساساً تاريخياً. وينسب فنسك إلى النبي ﷺ أنه لم يشهد عن الجماعة في العبادة المكيّة، أي بعبارة أكثر وضوحاً أنه كان وثياً قبل البعثة. ويفتري فنسك حين يصرّح أن كلمة إبراهيم اخترعت اختراعاً، ويزعم أن محمداً أراد بهذا الاختراع أن يتصل بإبراهيم.

ويطرح رأيه هذا ليؤكد نفس المقولة التي ردها أسلافه اليهود والنصارى عندما بُعث النبي محمد ﷺ بالإسلام، والتي ردّها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾.

ويستمر فنسك في افتراءاته ليشارك كل من المستشرقين "سبرنجر" و "سنوك" في ترجمة النبي إبراهيم عليه السلام ضمن دائرة المعارف الإسلامية قائلاً: إن القرآن لم

يحتل بإبراهيم، ولم يذكر أبوته لإسماعيل ولا أبوته للإسلام، إلا في السور المدنية، وسرّ هذا الاختلاف أن محمداً اعتمد على اليهود في مكة، فلما اتخذوا حياله العداء لم يجد بداً من أن يلتمس غيرهم ناصراً.

هناك هداه ذكاء شديد إلى شأن جديد لأبي العرب إبراهيم، وبذلك استطاع أن يتخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم، تلك اليهودية التي كانت ممهدة للإسلام.

ثانيهما: في مجال فهرست السنّة
أصدر كتابين: أحدهما: معجم بالإنجليزية للألفاظ الواردة في أربعة عشر كتاباً من كتب السنن والسيرة. نقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، وسماه (مفتاح كنوز السنّة).

والآخر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الذي نشره بالعربية وتوفي قبل إتمامه. وقد حقق فنسك بهذا المشروع الضخم هدفين أساسيين كان يسعى إليهما أغلب المستشرقين في أعمالهم الاستشراقية في هذا الباب العلمي.

كان هذا شديد الخطر على الإسلام والأجيال القادمة.

وقد أدخل فتسك بكتابه كتوز السنة و "المعجم المفهرس لألفاظ الحديث" أخبار وتقارير شاذة وواهية مردودة نشرها في الكتابين، ودسها في سياق الصحيح لتسوغ معه وتشتبه به، وليستقر في ذهن القارئ أنها من الثوابت الواردة عن رسول الله ﷺ، ويعضه يصل الى درجة الشناعة وتبرأ منه السنة الشريفة.

وإن اعتمد المنهج العقلي والعلمي يقتضي التويه - ولو إجمالاً - إلى أن الأخبار والروايات المنسوبة إلى السنة الشريفة فيها الصحيح الموثق، وفيها الضعيف والمرسل والمتروك، ويطلب من القارئ - على الأقل - مراجعة المصادر الخاصة ببيان قواعدها وطرق التثبت منها^(١٠).

♦ مفالطات فتسك في السيرة

النبوية:

يقول (فتسك) تحت مادة (الخمير): (ولم يكن تحريم الخمير في برنامج النبي

الهدف الأول: هو تيسير العمل أمام المستشرقين لتناول السيرة النبوية بشكل تفصيلي دقيق يمكنهم من استقصاء ما يمكن أن يكون - بعد العلاج - مورداً للنقض والتشكيك والنيل من الإسلام ونبئه ﷺ.

والهدف الثاني: تحويل توجه الكتاب

والباحثين عن السنة النبوية إلى المراجع الاستشراقية، خصوصاً إذا لوحظ امتيازها الفني والموسوعي، مما يجعلها في الصدارة والمجال الأول بين مراجع المسلمين، فيعتمدون عليها ويكتفون بها رغم ما فيها من خلط وتحريف وافتراء، وينسون مع تقدم الزمان مراجعهم الأصلية. وفي هذا المجال يقول الشيخ محمد حسام الدين: وكان أخطر عملهم في مادة (حديث) ومادة (سنة)، لنجد فيها ما يجرح الإسلام وما يفسد الحقيقة، وأنهم يقدمون الشبهات في أساليب يعجز عنها الشيطان، وذلك ما رمى إليه "فتسك" وهو الطعن على وجه أشد في المصدر الثاني بعد كتاب الله وهو السنة النبوية، بل بوصفها البيان لكتاب الله تعالى، فإذا جرى الاعتماد على مراجعهم

تدرجاً زمنياً في طريقة ومستوى بيان الموقف الشرعي الكامل منها، وبالشكل الذي يتناسب وقابلية التلقي الذهني والنفسي لمجتمع الدعوة والرسالة لهذا التشريع أو ذاك، ليتحقق الهدف الإلهي في إدراك الناس له وتحصيل الاستعداد للتسليم به، وهذه سنة الله في رسالاته وشرائعه للأمم السالفة كاليهودية والنصرانية.

ب- أما قوله: (إن في الآية ٦٧ من سورة النحل مدحاً في الخمر بوصفها آية من آيات الله للناس...) فليس كذلك، ولعل السبب في سوء الفهم هذا هو روح التحامل على الاسلام من جهة -خصوصاً عند (فنسك) المعروف بذلك- وعدم الإحاطة باللغة العربية من جهة أخرى. فالآية الكريمة مكية وهي مخاطبة المشركين وتجييبهم في سياق الظواهر الطبيعية التي يعايشونها في حياتهم الاعتيادية، عن سؤالهم المقدّر وهو: ما هي ثمرات إنزال الماء من السماء؟ فكون اتخاذ المشركين السكر من ثمرات النخيل والأعناب لا يعني تحسينه لهم، خصوصاً

منذ البداية، بل نحن نجد في الآية (٦٧) من سورة النحل مدحاً في الخمر بوصفها آية من آيات الله للناس... بيد أن عواقب السكر قد ظهرت على الصورة التي بيّنا، فدفع ذلك النبي إلى أن يغيّر من اتجاهه).

وهذا القول منه يتضمن ما يلي:

أ- غمزه بنبوة محمد ﷺ وبصدق الوحي الإلهي له، وإلاّ فليس القرآن الكريم كلام النبي ﷺ ليبرمجه حسب رأيه، إنما هو كلام الله أنزله منجماً على رسوله محمد ﷺ بواسطة الوحي حسب مقتضيات الحكمة الإلهية ومناسبات حركة الرسول ﷺ ودعوته للاسلام، فبرنامج التحريم للخمر - حسب قول (فنسك) - ليس إلّا تدرجاً في طريقة ومستوى البيان للحكم الشرعي، من تقبيح وتحريم له مرةً وبيان لاشتماله على الإثم - وهو محرّم - أخرى، والزجر عن تناوله لحرمة ثالثة..

ولا تعارض بين الآيات التي تناولت الخمر، فكأنها تحرّمه بصيغ بيانية متنوعة اقتضتها تلك الحكمة الإلهية والمناسبات الواقعية، شأنها في ذلك شأن كثير من الظواهر الاجتماعية الفاسدة التي تستلزم

هذا الاختلاف يقول فنسلك: "إنَّ محمداً كان قد اعتمد على اليهود في مكة، فما لبثوا أن اتخذوا حياه خطّة عداء، فلم يكن له بدٌّ من أن يلتبس غيرهم ناصراً، وهناك هداه ذكاء مسدّد إلى شأنٍ جديد لأبي العرب إبراهيم، وبذلك استطاع أن يخلص من يهوديّة عصره ليصل حبله بيهوديّة إبراهيم".

قول فنسلك: إنَّ محمداً ﷺ كان قد اعتمد على اليهود في مكة، فهذا ما لم يقله ولم ينقله لنا أيُّ مؤرخ، سواء كان من المسلمين أم من غيرهم. بل الذي ورد هو العكس، حيث إن اليهود كانوا أوّل وأشدّ من نصب العداء ومارس تأليب مشركي قريش والتآمر على رسول الله ﷺ ودعوته الإسلامية، حتى نزل في ذلك قرآن، قال فيه الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عداوةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مودةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾.

أمّا قوله: "وبذلك استطاع أن يخلص من يهوديّة عصره ليصل حبله بيهوديّة إبراهيم" ففقيه:

وأن الآية الكريمة تنسب السكر إليهم وأنه من صنعهم، وليس هو إلاّ إشارة إلى ثمرة طبيعّية مألوفة لديهم، بل هناك قرينة واضحة في الآية تدل على نوع من تقبيح السكر من جهة مقابلته بالرزق الحسن، فلو كان السكر حسناً لما ميّزته الآية الكريمة عن الرزق الحسن. (١١)

♦ حقيقة النبوة الحمديّة في آراء

المستشرق فنسلك:

● ذكاء محمد ﷺ وخياله عماد

دعوته!!

من إمارات الدس والتشويه في "دائرة المعارف الإسلامية" التي وضعها نخبة من المستشرقين القول بأن ذكاء محمد ﷺ وخياله المتوقّد، هما اللذان كانا وراء ما جاء به من دعوة.

ونجد تكرار هذه الشبهة في عدة موارد من الموسوعة المذكورة، منها ما جاء تحت مادة "إبراهيم". ففي معرض بيان دعوى المستشرق الهولندي "سنوك هجرونيّة" بأن شخصيّة إبراهيم مرّت بأطوار متناقضة في القرآن الكريم، والإشارة إلى السر في

أولاً: إن اليهودية المدعاة التي كانت على عصر الرسول ﷺ هي انحراف عن الدين الحق الذي بعث الله تعالى به أنبياء بني اسرائيل وعلى رأسهم موسى عليه السلام، وفي ذلك قال الله تعالى في محكم قرآنه الكريم: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ النساء: ٤٦، وقول الله تعالى ايضاً: ﴿افْتَطَمَعُونَ اَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٧٥.

ثانياً: إن الرسول محمداً ﷺ لم يكن بحاجة لأن يصل حبله باليهودية المدعاة، لأن الأصل في الأديان هو الإسلام، وقد توالى بعث الرسل والأنبياء من الله تعالى للتبشير به، وردّ التحريف عنه والدعوة له قبل خاتمهم محمد ﷺ، أما النصرانية واليهودية المدعيتان فما هي إلا انحراف عن الأصل الاسلامي، وبدعة أملت علىهم أهواؤهم ودنياهم، وفي ذلك قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ

ثمناً قليلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ آل عمران: ١٨٧

وهذه هي العقيدة التي دعا لها النبي محمد ﷺ وذكرها الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ وما تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَفِيأِ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّبَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّا رُبِّبُوا فَتَذَكَّرْكَ هَادِغٌ وَاسْتَقِيمَ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ. الشورى:

١٣-١٥

ثالثاً: إن نبي الله ابراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً، لما قلنا من أن الأصل في الأديان المبشّر بها هو الإسلام، وكيف يكون

وفي بدء الوحي يقول (فنسبك): بعد ظهور جبريل لأول مرة، وإصابة النبي ﷺ (بالفشيان) ملئت خديجة فزعاً، فلجأت إلى راهب ملحد منبوذ يدعى (سرجيوس)، فطمأنها وأكد لها أن الملك جبريل يرسل لجميع الأنبياء.

والصواب: أن الرسول ﷺ لم يصب بما يسميه (الفشيان)، وإنما هي قشعريرة تتاب الخائف، ولم تفرغ خديجة من ذلك بل كانت تثبت قلب الرسول ﷺ بقولها: والله ما يخزيك الله أبداً أنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. أما (سرجيوس) فيقول أحمد محمد شاكر عنه: الزعم أن قصة خديجة كانت مع من يدعى (سرجيوس) خطأ، ومخالفة للأحاديث الصحيحة الثابتة، ثم ذكر حديث البخاري في بدء نزول الوحي إلى أن يقول: فهذا صريح في أنها ذهبت إلى ابن عمها العربي النسب، ولم تذهب إلى رجل أعجمي يدعى (سرجيوس).^(١٣)

يتبع في العدد القادم إن شاء الله

إبراهيم ﷺ يهودياً أو نصرانياً حسب دعواهم وقد نزلت التوراة والإنجيل من بعده بزمان مديد؟ وهو قول الله تعالى في قرآنه الكريم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ♦ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ آل عمران: ٦٥-٦٦

ثم ينفي الله عز وجل اليهودية والنصرانية المدعيتين عن إبراهيم ﷺ ويثبت كونه حنيفاً مسلماً لا غير، وذلك قوله عز من قائل في الكتاب الكريم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران: ٦٧.

إذن فلو كانت هناك وصلة للنبي محمد ﷺ بابراهيم ﷺ فهي وصلة الإسلام، ذلك الدين الحق الذي قال فيه الله تعالى في قرآنه المجيد: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ الصف: ٩^(١٤).

الهوامش:

- ١- الاستشراق، أنور الجندي، القاهرة: دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع.
- ٢- الاستشراق والمستشرقون/ الدكتور مصطفى السباعي، الطبعة الثالثة، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٣- الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين/ نذير حمدان، الطبعة الثانية مزودة ومنقحة، جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٤- السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، عبد المتعال محمد الجبري، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .
- ٥- حقيقة الاستشراق وموقفه من الإسلام، محمد بهاء الدين حسين أحمد، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ٢٠٠٣م.
- ٦- دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية، الدكتور إبراهيم عوض، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة البلد الأمين، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م.
- ٧- موجز دائرة المعارف الإسلامية ط١، ج١، مركز
- الشارقة للإبداع الفكري، ١٤١٨هـ.
- ٨- المستشرقون، نجيب المقيتي، الطبعة الرابعة موسعة، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م.
- ٩- المستشرقون، نجيب المقيتي، الطبعة الرابعة موسعة، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م.
- ١٠- سموم الإستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، أنور الجندي، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٨٤م.
- ١١- موسوعة المستشرقين، الدكتور عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثالثة طبعة جديدة منقحة ومزودة بثمانين مادة جديدة، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.
- ١٢- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، الرياض: دار الرفاعي، ١٩٨٣ .
- ١٣- الإسلام وشبهات المستشرقين، فؤاد كاظم المقدادي، مجمع أهل البيت، إيران.

